الحايك

العيد الاخوي

JUN 1
3

٢٤٥٨٧٢
الاستاذ عيسى النحاس

الحب الاخوي

892.78
Ha195hA
C.1

الخوري الاسقفي يوسف الحايك

الحُبُّ الأخوي

رواية

مأساة أدبية تمثيلية ذات أربعة فصول

مكتبة صادر
بيروت

Cat. 11 Feb. '53

الحقوق محفوظة للمؤلف

مطبعة المناهل : ٨٢ – ١٩٥٢

أسماء الممثلات

ماري	:	ابنة الأمير سليم الغساني
حنة	:	أرملة الأمير سليم الغساني والدة ماري
ليلى	:	شقيقة ماري
كاترين	:	صديقة ماري
اميلي	:	» »
عزيزة	:	» »
لويزا	:	المرأة المختلسة
ايزابال	:	السيدة المحسنة
ملفينا	:	صديقة ايزابال
مرتا	:	خادمة ايزابال

عجوز

هنريات : الابنة التي تبنتها ايزابال

ساعي البريد

ثلاث بنات فقيرات

تنبيه : ان عشر بنات يكفين لتمثيل هذه الرواية لان ستاً من الممثلات يمكنهن ان يمثلن فيها دورين .

الفصل الاول

المشهد الاول

ماري

ماري «بزي الفقراء جالسة على صخرة ساندة رأسها بيدها وهي تنشد»

يا صروف الدهر حتّامَ العذابْ
ففؤادي من شديد الفقر ذابْ

فالرزايا مقبلاتٌ لا تني
لم يروّعْها شقاءٌ وانتحابْ

نصبت من بؤسنا مخيمها
وعلى محنتنا شادت قباب

يطلب الانسان عيشاً في الدنى
بئس عيش ذقنا فيه الحلو صاب

قد صبرنا وابتغينا فرجاً
يا لصبرٍ ملأ القلب اكتئاب !

لله ما أمرّ الفاقة وما أصعب الاستجداء ! نشتكي ولا من يجيب. نسترحم ولا من يرحم. فالى من نشكو؟ الى الله وهو وحده مرجع كل بائس .

كريمٌ أنت يا الله، فهب لنا ما ندفع به غائلة الجوع عن اطفال صغار ليس لهم من يعولهم ...

لعمري ان البخل هو أعظم نقيصة في الانسان، فالذي يتنكّر لأخيه الانسان ويمتنع عن مساعدته إبّان الضيق هو فاقد الشعور .

منذ هنيهة مرّت بي تلك المرأة الغنية فتذلّلت بين يديها ملتمسة المساعدة ذارفة الدموع قصد أن أسدّ رمق اخوتي الجائعين، لكنها كانت متحجرة القلب.

لِمَ لم أولد من أبوين مُوسرين فكنت على الأقل أساعد الفقراء وأعول البائسين ؟ «تفكر» أراني أحلم بالمحال ولم تكن هذه الأفكار إلاّ لتزيدني تعاسةً وشقاءً . فأتنّى لي وأنا العاجزة عن تحصيل الشيء الضروري لسدّ فاقتنا أن أعول البائسين وأقاسم خبزي الفقراء؟ أوّاه! لا يمكن للانسان أن يعطي ما لا يملك .

المشهد الثاني

حنة – ماري

حنة «بزي الفقراء» بنيّتي لا تكتئبي، فالذي خلقنا يهتم بنا.

ماري لقد اشتهيت أن أكون ابنة أبوين موسرين فكنت أشفق على الفقراء وأساعدهم.

حنة الكرم حلّيةٌ لأولي الشرف والبخل وصمة في جبين الأدنياء، فأنت لست من أصل وضيع بل أنت من سلالة شريفة لها المقام العالي، فان أباك الأمير سليم الغسانيّ كان من أعظم أبناء هذه البلاد رفعة وغنًى، فهو أعرقهم نسباً وأسماهم شرفاً.

غير ان الدهر الخؤون عبّاثٌ بأهله، فقد جار علينا بعد ان اغتالت المنيّة أباك فكنّا ضحيّة الشرف اذ سلبنا الانذال كل أموالنا، وبين هؤلاء رجلٌ دنيء لا ضمير له كان أبوك قد كفله على مبلغ طائل فاخترع حيلة لابتزاز المال فأعلن افلاسه واكتنز المال واضطر أبوك أن يدفع كل ما تملك محافظة على الشرف واذا بنا نغدو بين ليلة وضحاها من أفقر الناس وذاك

المختلس ذا ثروة ضخمة تتنعّم بها زوجته البخيلة بعد موته ، ونحن الآن لا نملك إلاّ الشرف وهو حسبنا .

ماري لعن الله كل نذل مختلس !

حنة ليس امرّ على الانسان من فقدان ماله وانتقاله من حالة اليسر الى العوز الشديد ، وأن يغدو بعد عزه مستجدياً الأكف مشتهياً ان يملأ جوفه من الطعام ولا يستطيع الى ذلك سبيلاً .

ماري ألم يكن من وسيلة لنا لاسترجاع تلك الأموال ؟

حنة لقد سعيت كثيراً واستنهضت همم الأصدقاء فكنت كمن يصرخ في وادٍ ، لأن الفقر يبعد الأصدقاء ، وما أحسن ما قال الشاعر :

يمشي الفقير وكل شيء ضدُّه
والناس تغلقُ دونه أبوابها

وتراه مبغوضاً وليس بمذنبٍ
فيرى العداوة لا يرى أسبابها

حتى الكلاب اذا رأت ذا ثروةٍ
خضعت لديه وحركت أذنابها

واذا رأت يوماً فقيراً عابراً
نبحت عليه وكشّرت أنيابها

«تبكي»

ماري لا تبكي يا أماه، فالبكاء وحده لا ينقذ اخوتي من غائلة الجوع .

حنة لقد سُدَّت بوجوهنا المسالك

المشهد الثالث

حنة – ماري – لويزا

لويزا « تدخل وهي تتبختر باثوابها الحريرية وحلاها الثمينة ثم تنظر الى ماري استخفافاً وتقول على حدة » لا سعادة الا في المال كما ان لا تعاسة الا في الفقر ، فأنا الآن أغرف المسرات وهذه تقاسي الشقاء والذلّ .

حنة عِمي صباحاً أيتها السيدة . « الى ماري على حدة » هذه هي زوجة المحتال المختلس .

لويزا « باشمئزاز » ماذا تبتغين ؟

ماري عطيّة صغيرة أيتها السيدة الكريمة .

لويزا اذهبي فاشتغلي فالاستعطاء لا يشبعك .

حنة على رسلك يا لويزا ، فانظري ما آلت اليه حالنا . فهل من العدل ان تتنعمي أنتِ ونحن نسام الفقر والذلّ والجوع بعد ان كانت دارنا ملجأ الفقراء والمعوزين ؟

لويزا كيف تتجاسرين أيتها المرأة على ان تخاطبيني مخاطبة النِّدّ للنِّدّ ؟

حنة أتجهلين انك أنت سبب تعاستنا ؟

لويزا «بغضب» لست أفهم ما تقول هذه الحمقاء .

حنة لقد حكمتِ صواباً ، فلو لم أكن حمقاء ولم يكن زوجي أحمق لما خلصناكم من شقائكم .

لويزا أراك تهرفين أيتها المرأة .

حنة ان تناسيت أنت فأنا لا أنسى ، أجل ، فلقد صح قول المثل : أمُّ القاتل تنسى أما أم المقتول فلن تنسى.

لويزا حسبك وإلا ...

حنة ما لنا وللماضي ، اعلمي يا لويزا أنني أنا وأولادي الأربعة نكاد نهلك جوعاً وقد سُدَّت بوجوهنا كل الأبواب ، فهلا ترحمينا وتتكرمين علينا بالقليل مما لنا بذمتك ؟

لويزا «الى ماري» حقاً انها تهذي فهي لا تدري ما تقول . «الى حنة» ويحك ! أمثلي يقال هذا الكلام ؟ اياك ان تعيدي ذلك فتكون العاقبة وبالاً عليكِ .

ماري ما لنا ولها يا أمّاه ، فالطمّاع البخيل يتحجّر ضميره.

حنة «الى لويزا وهي خارجة» الله العادل سيستوفي حقنا

منكِ ، فالى المحاسبة هناك ، تنعمي بأموالنا ما طاب لك التنعُّم ، واعلمي ان من يزرع الظلم يحصد البؤس والشقاء .

لويزا حسبي ان أتنعم وأنت تشقين . « تخرج »

المشهد الرابع

حنة - ماري - امبلي - كاترين

« امبلي ، كاترين تدخلان فاحداهما تحمل علبة بسكوت والثانية علبة حلوى »

امبلي « تعانق ماري » حملني الشوق اليك يا حبيبتي ، وقد كنت علَّلتُ النفس بمشاهدتك أمس فلم أُوفَّق ، وعندما استبطأتك جئت مع العزيزة كاترين وقد أحضرنا لك شيئاً من البسكوت والحلوى . « تسلمها علبة البسكوت »

ماري جوزيتا خيراً ، فلقد انتشلتما عيالي بكاملها من الموت جوعاً .

كاترين « تعطيها علبة الحلوى » اقبلي من صديقتك هذه الهدية الصغيرة .

حنة عوّض الله عليكما اضعافاً .

كاترين سنأتيك غداً ان شاء الله بشيء يساعدك على اجتياز هذه المرحلة الصعبة .

حنة يا للعاطفة الشريفة !

ماري « تعطي أمّها العلبتين » اسرعي يا أمّاه الى اخوتي واطعميهم . « يخرج الجميع ما خلا ماري »

المشهد الخامس

ماري

ماري كيف التخلص من هذه الحالة التعيسة ، وما هي الواسطة التي أتوصّل بها الى انتشال اخوتي من مخالب الجوع ؟ سعيت لأجد عملاً فلم أُوفّق . امتهنت الاستعطاء وإذا بي في موقف ذلّ ليس بعده ذلّ ... لقد تجسّمت العقبات في سبيلي وتنكّر لي الأغنياء ، ولولا حزمٌ في جنبيّ لأقدمت على الانتحار ... ان عزّة نفسي وطموحي الى العلاء يأبيان عليّ التذلّل وحالة اخوتي الجائعين تفتّت الأكباد وتدفعني الى التوسل والتذلّل ، فحياتهم عزيزة ومحبتي لهم لا يُسبر لها غَوْر ، فما العمل؟..

«تفكر» الأجدر بي ان أسعى لبيع ذاتي من أحد البيوتات الغنيّة فأدفع بثمني الجوع عن اخوتي وأخلصهم من موت محتّم ...

آه! إن ما أحلم به صعب المنال، فأنّى لقلبي المتألم أن ينسلخ عن والدة واخوة أودُّ ان افتديهم بنفسي؟ فهنا حبٌّ تملّك كل جوارحي، وهناك واجبٌ مصدره هذا الحب. ان الافتراق عنهم وحفظهم في الحياة هو أفضل من بقائي بينهم وهم يقاسون مضض الجوع.

لقد عزمت هذا العزم لكن ترى هل أجد من يحقق رغبتي هذه فيبتاعني بثمن يكفي لخلاصهم؟ «ثم تنظر الى الخارج فترى امرأة آتية فتقول» لا شك بأن الله ييسّر لي أموري، فهذه السيدة الجليلة يظهر أنها غريبة عن هذه البلاد وسمات النبل والكرامة تتجلّى على وجهها، فلعلّها تستجيب سؤلي وتكون الاقدار قد أرسلتها إليّ. آه! انني أكون سعيدة اذا ما حصلت على هذه البغية.

المشهد السادس

ماري - ايزابال

ايزابال «تدخل»

ماري حيّا الله السيدة الكريمة.

ايزابال وحيّاك أيتها الصغيرة المهذّبة ، لماذا أنت كئيبة ؟

ماري لا تسلي يا سيدتي ، فالدهر جائرٌ غادر .

ايزابال أجل ، لكن الانسان الحكيم هو من يصبر على نكبات الدهر .

ماري ان النكبة التي حلّت بنا مرّة هائلة .

ايزابال افصحي فلعلّي أتمكن من انتشالك من هذه النكبة .

ماري كان لأبي ثروة عظيمة ، وكان متساهلاً في معاملاته ، فوزّع تلك الثروة على عدد من الناس ليستفيدوا بها ويعيدوا إليه ماله ، فضاع معظم ثروته ، ثم كفل أخيراً أحد أصدقائه على مبلغ كبير ، لكن سرعان ما خانه ذاك الصديق فأفلس احتيالاً وبهذا الافلاس ضاعت كل ثروتنا .

وعلى أثر ذلك قضى والدي متأثراً من حالته تاركاً أربعة أطفال أنا كبيرتهم ولم يبقَ لنا ما نسدّ به الرمق وقد أجدبت ارض البلاد وارتفعت اسعار الحاجات حتى لم نعد نلقى مساعداً فبلغنا الى الفاقة فالذل فالجوع واضطررنا الى استجداء أكف المحسنين وهذا أمر لم نتعوده بل نحسبه أمرّ من الموت .

ايزابال ليس الفقر ذلاً ، فالفقر يزيد الانسان شرفاً ، انما الذليل من عاش ذليلاً . حقاً لقد أدميت فؤادي فسأكون لك عوناً فاطمئني .

ماري لي اليك حاجة ان نلتها كنت سعيدة . هل تستجيبين طلبتي ؟

ايزابال ان استطعت .

ماري مطلبي بسيط وسهل عليك تحقيقه .

ايزابال صرّحي لي بما في خاطرك .

ماري أن أبيعك ذاتي .

ايزابال ماذا تستفيدين من ذلك ؟

ماري أستعين بالثمن على دفع غائلة الجوع عن أمي واخوتي وبذلك أقوم بواجب الحب الأخوي .

ايزابال ما كنت لأرضى مرة باستعباد الآخرين ، فالدين والشرف والمبادىء الاخلاقية كلها تحرم الاسترقاق . أليس من العار ان يسترقّ الانسان أخاه الانسان ؟ فهذا لن يكون .

ماري ما العمل إذن ؟

ايزابال ان شئت فأنا أضمن لك حياة شريفة . لقد توسّمت الخير في وجهك منذ أول نظرة فبدا لي انك من

سلالة شريفة وانك اهل للثقة التي أضعها فيك وما كان الفقر ليحطّ من شأنك .

ماري كيف تضمنين لي هذه الحياة ؟

ايزابال أنا يا بنيتي أرملة لا ولد لي وقد تبنيت من مدة ابنة فان شئت تبنيتك أيضاً فتصبحين حينئذ ابنة لي لا عبدة وشريكة لي في كل شيء .

ماري ماذا يستفيد اخوتي من ذلك ؟ ثقي يا سيدتي بأنني أسعى لاسعاد اخوتي لا لاسعاد ذاتي، ولو تأكدت ان بذل حياتي ينتشلهم من ضيقهم لما بخلت بهذه الحياة، فاذا ما تبنيت لك ضاعت الغاية التي أتطلبها .

ايزابال أهب والدتك واخوتك ثلاثمائة دينار فتكون رأس مال لوالدتك تشتغل بها وتعولهم .

ماري هي هبة ملكة . فكيف أستطيع ان أبادل هذا الاحسان العظيم ؟ إذن أنا لك أطوع من بنانك. آه، يا لسعادتي ! فقد بلغت ما تمنيت . ثقي يا سيدتي بأنني أكون لك ابنة مخلصة تطيعك طاعة عمياء ولا تسبب لك أدنى كدر فتقوم على خدمتك بحب صادق .

ايزابال «تفتح محفظتها وتأخذ منها أوراقاً مالية فتدفعها الى ماري قائلة» اليك هذه فسلميها الى والدتك وعودي اليّ سريعاً .

ماري الى أين تذهبين بي ؟

ايزابال الى وطني لبنان ، فقد جئت الى هذه البلاد اتفرّج على آثارها وأدرس أخلاق شعبها وعوائدها وها أنا ذي مسافرة الآن .

ماري حسناً ، لكن امي سترفض دون شك ابتعادي عنها فتمنعني بسلطتها الوالدية عن الذهاب مفضلة الموت جوعاً على ابتعادي عنها .

ايزابال إذن ؟

ماري يجب ان أذهب معك خلسة دون معرفتها فأضع لها المال في محفظة واخبئها في مكان حريز ثم أكتب اليها كتاباً أرسله بالبريد به أدلها على المال وأُخفي عنها البلاد التي أذهب اليها ، وبهذه الواسطة أكون قد قمت بواجبي نحوها ونحو اخوتي .

ايزابال افعلي ما بدا لك .

ماري « تأخذ ورقة وقلم رصاص وتكتب ثم تخرج الى خارج المسرح نحو دقيقتين وتعود ، وفي اثناء ذلك تكون لويزا راجعة فتراها تخبىء المال ، ثم تقول ماري » سلام أيتها الام الحنون ، سلام يا اخوتي المحبوبين ، لقد قضى الله ان أبتعد عنكم ولا تعزية لي عن فراقكم الا

القيام بواجبي نحوكم ، فقد اضطررت ان أقسّي قلباً يذوب حباً بكم فابتعدت عنكم مرغمة . سلام والف سلام أيتها الربوع الجميلة ، فهل لعيني ان تراك بعد اليوم ؟ ربما .

« تخرج مع ايزابال »

المشهد السابع

لويزا

لويزا « تدخل فتلتفت الى الناس وتقول » غنيمة باردة ، غنيمة باردة . « تري المال للناس » انظروا ما أسعد حظي ، فلقد نظرت ماري تخبىء شيئاً فوق باب بيتها ، وعلى أثر ذهابها تقدمت أفحص ما خبأت واذا بي أجد محفظة تضم مبلغاً من المال فاختطفتها وانتزعت ما فيها وأعدتها الى مكانها فارغة ، وهذا هو المال « تريه للناس » « تعد الأوراق المالية » ثلاثمائة دينار !!! الله ، الله ، ان الأقدار تخدمني ، فأنا أحق من سواي بهذه الدنانير ، فلتبقَ حنة في فقرها وأنا أزداد غنى .

« ثم تخرج »

المشهد الثامن

حنة – كاترين – اميلي

حنة « تدخل وتنادي » ماري ، ماري ، بنتي مـــاري .
« تتطلع من ابواب المسرح » ترى أين ذهبت ؟ « تنادي الى الخارج » ماري ، ماري ، أين أنتِ ؟..
« كاترين ، اميلي تدخلان وهما تحملان شيئاً من الخبز والأطعمة » بدّل الله ايامك وأسعدك .

حنة انني سعيدة بكما أيتها العزيزتان .

كاترين أتيناك بهذه الأشياء الزهيدة لتستعيني بها الآن ، وكنا نود أن نأتيك بأكثر من ذلك لو سمحت لنا الظروف ، غير اننـا لن نتخلى عنك فنمدّك بمـا يمكن امدادك به الى ان يأتيك الفرج .

حنة أكثر الله من أمثالكما ، فأنتما عنوان الاخلاص والحب ، هل شاهدتما ماري في الطريق ؟

اميلي كلا ! فأين هي ؟

حنة لا أعلم ، فلقد مرّ معظم النهار ولم ارها .

كاترين ألم تقل لكِ شيئاً ؟

حنة كلا .

اميلي قد تكون ذهبت لاستحصال شيء لاخوتها مدفوعة بحبها الذي لا حدَّ له .

المشهد التاسع

الموجودات - ساعي البريد

الساعي « يدخل » من منكنَّ تدعى حنة ؟

حنة أنا هي .

الساعي اليك هذا التحرير . « يدفعه اليها ويخرج »

حنة ممن هذا التحرير ؟ « تنظر اليه » هو خط ابنتي ماري... يا للعجب ! كيف يكون هـذا ؟ فلماذا تكتب اليَّ ماري بالبريد؟ « تنظر في ختم البريد » مرسل بتاريخ اليوم . « تفض الغلاف بسرعة وتقرأ علناً : »

أمي الحنون

قضى الله ان أفارقك وأذهب الى حيث لا تعلمين متبنية لامرأة جليلة أرسلها اليَّ القدر لا طمعاً بالراحة ولا حبّاً بالابتعـاد عنك بل لكي أدفع عنك وعن

اخوتي غائلة الجوع، وسأكون مرتاحة البال لانني قمت بواجبي ولو بعيدة عن نظرك الوالدي، فقد دفعتُ الي السيدة مساعدة لك ثلاثمائة دينار كرأس مال تشتغلين به وتعولين اخوتي من أرباحك، وقد خبأت لك هذه الدنانير في طاقة بيتنا فوق الباب الشرقي ووضعت عليها حجراً أصفر فتسليها وباركي ابنتك، وسنجتمع في هذه الدنيا ان شاء الله والا ففي الأبدية : ماري! ويلاه ما هذه المصيبة ؟

كاترين يا للحب السامي ! لقد هجرت ماري بلادها وأهلها حبّاً باخوتها .

حنة كيف العمل ؟ حبيبتي ماري، لقد طعنت قلب امك التعيسة المنكودة الطالع بحربة الفراق المرّ .

امبلي صبراً أيتها السيدة ، فلعلّ وراء هذا الفراق خيراً لها ولك .

حنة لمن أشتكي أمري، لمن أشتكي البلوى
لعمري لغير الله لا تنفع الشكوى

لمن أشتكي بُعداً ازال تصبُّري
وصيّر قلبي من صروف النوى شجوى

فهل نلتقي يا دهر بعـــد تشتّتٍ
فنجني من الأفراح ثمرتك الحلوى

فترتاح نفسي باللقـــاء وحبذا
حبيب أناجيه وما ألطف النجوى

الى أي بلاد قادتك الاقدار يا بنيتي المحبوبة ؟ أنت صغيرة السن لم تتذوقي حلاوة الحياة، ولقد شبعت من مرارتها قبل ان تبلغي أشدّك، فهناك في بلاد الغربة لا أم تحتضنك ولا أخ يحدب عليـك ولا أخت تعزيك وتمسح دموعك... آه! ليتك عيّنت لي المكان الذي تقصدين فأطير إليك ... لقد ذكرت في كتابهـا انها خبأت المحفظة في الطاقة الشرقية، فيجب ان استعين بهذا المال الذي ضحّت فلذة الكبـد براحتها وبهجر بلادها وأهلها لأجل الحصول عليه .

«تخرج ثم تعود سريعاً»

كاترين يا للقلب المحب المتفاني !

اميلي لقد ألقت ماري أمثولة في التضحية على العالم، فبها يجب ان يتمثل كل من فيه شعور .

حنة «تعود وبيـدها المحفظة وتقـول» لم تكن ماري

كاذبة ... يظهر ان يداً اثيمة اختطفت هـذه الدنانير وتركت المحفظة فارغة لتزيدني قهراً على قهر ... فيا لنكد الطالع! فانني ما استفدت من فراق ابنتي الا" زيادة العذاب وحرقة القلب. آه! « تسقط مغشياً عليها وينزل الستار »

الفصل الثاني

المشهد الاول

هنريات

هنريات أفٍّ من هذه الحالة! فلقد نغّصت عيشي هذه الابنة الغريبة، فبعد ان كنت موضوع حب السيدة ايزابال ومحطّ آمالها اذا بي أخسر ذاك الحب الذي انتقل الى الابنة الغريبة فغدت تعلق آمالها عليها وتفضلها عليّ. كنت احسب ذاتي الوارثة الوحيدة للسيدة ايزابال فاذا بي امام من تنازعني وتقاسمني هذه الثروة. «تفكر» لقد قدحت زناد الفكرة لعلّي اجد مخرجاً أتخلص به من هذه المزاحمة فلم أفلح. «تفكر» ها ها! لقد بدت لي فكرة جديدة بها ابلغ الهدف ... اسرق الخاتم التذكاري الالماسي الذي تعتبره السيدة ذخيرة ثمينة لأنه تذكار من والدها واخبئه بين حلى ماري وعندما تفتقده

السيدة ولا تجده تبتدىء بالبحث عنه فأقتادها بحكمتي الى تفتيش امتعتي وأمتعة ماري، وعندما تجده في امتعة ماري تثبت الجريمة على ماري وتُعتبر لصّة سارقة فتطرد وهكذا اعود انا الى سابق سعادتي .

المشهد الثاني

هنريات – ماري

ماري أسعد الله مساءَك يا أختي هنريات .

هنريات « على حدة » يجب ان أكون حكيمة فأستعمل الدهاء . أهلاً بالأخت الودود ، لقد مضى معظم النهار ولم أتمتّع برأى وجهك البسّام .

ماري « على حدة » أرى تغيُّراً في اخلاقها . « الى هنريات » اشكرك يا عزيزتي وأبادلك هذه العواطف .

هنريات اتخرجين الى التنزه اليوم ؟

ماري كلاّ بل سألزم المنزل وانجز تطريز القطعة التي سلمتها إليّ السيدة .

هنريات لكِ ما تشائين امّا انا فأودّ التنزه . « تخرج وتقول

على حدة » لقد نجحت الحيلة ، فالسيدة ايزابال خارج القصر ، والخزانة مفتوحة ، وماري منهمكة بالتطريز ، فيجب الاسراع . « تخرج »

المشهد الثالث

ماري

ماري « تستحضر نول التطريز وتبتدىء بالشغل وهي تنشد »

سلامٌ على أمٍّ حنونٍ هجرتها
سلامٌ عليها كلّما طلع البدرُ

سلامٌ على أرضٍ تضمُّ أحبّةً
صغاراً عليهم قد طغى وبغى الدهرُ

حنانيك يا أماه فالقلب شيّقٌ
الى منزلٍ في داره نبت الفخرُ

فهل نلتقي بعد البعاد ونشتكي
مرارة هجرٍ ذاب من حرها الصخرُ؟

هل لعينيَّ ان تتمتّعا بمرآك ايتها الأم الحنون فأنطرح على صدرك الخفّاق بالحب؟ وهل يتاح لي ان اضم الى

صدري الملتهب شوقاً اخوتي المحبوبين فأغمرهم بقبل الوجد ؟.. آه ! تتجسّم الآمال في الصدر فتملأ القلب تعزية ثم لا تلبث ان تتبدّد كالضباب أمام الريح ...

تُرى هل يسرت حالك يا أمّاه أم أنت اسوأ حالاً من ذي قبل ؟ « تنشد على وزن : يا غزالي »

يا زمان البؤس هلاّ تنقضي
ان قلبي ذاب من مرّ البعادْ

ففؤادي بالجفا لا يرتضي
والنوى استأصل من جفني الرقاد

•

قلّ صبري، ضاق صدري بعدكم
زاد همّي وكواني صدّكم

زارني بالحلم صبحاً طيفكم
يا لطيفٍ علّم العين السهاد !

المشهد الرابع

ماري – عزيزة

عزيزة « تدخل » لقد اشجاني صوتك الرخيم وهزّتني انغامك الحلوة ، فما هذه الانشودة المؤثرة !

ماري لا تعجبي يا عزيزتي من انشادي، فلطالما أنشدت وبكيت . «تبكي»

عزيزة لماذا تبكين ؟ ان الدموع التي تذرفينها تجرح فؤادي. هل السيدة ايزابال تسيء معاملتك ؟

ماري حاشا وكلاّ، فالسيدة ايزابال كريمة شريفة تعاملني معاملة أمّ وتحبّني محبة عظيمة .

عزيزة إذن ما هو سبب هذا البكاء ؟ افتحي لي قلبك لعلّي أتمكن من تعزيتك .

ماري ما شككت يوماً بحبك واخلاصك، أمّا بكائي وانشادي فهما نتيجة تذكري أمي الحنون واخوتي المحبوبين الذين تركتهم في حالة بؤس من الفقر والفاقة . ولقد مرّ على ابتعادي عنهم نحو خمس سنين ما سمعت خلالها كلمة عنهم وكلّما فكّرت بهم تهيج اشجاني فأندفع الى البكاء والانشاد .

عزيزة لهم الله فهو يهتم بأمورهم .

ماري لولا هذه الثقة لودّعت الحياة من زمن طويل .

عزيزة هلمّي بنا فنروّح النفس قليلاً بين الازاهر والرياحين .

ماري لك ما تبتغين . «تخرجان»

المشهد الخامس

هنريات

هنريات «تدخل من الجهة الثانية ضاحكة وبيدها الخاتم» قدتم لي كل ما أريد، ها هو الخاتم «تريه للناس». أنا هي الفتاة الداهية، فهكذا تكون التدابير... ستتهمين يا ماري بتلك التهمة الشنعاء وتتذوقين مرارة غضب السيدة، فهذا جزاء حرماني عطفها وحبها.

والآن غدوت الوارثة الوحيدة فلا ينازعني في هذه الثروة منازع. موتي كمداً يا من جئت تزاحمينني، وكوني ضحية انتقامي. «تفكر» آه! اذا ما انكشف السر فماذا تكون حالتي؟.. لا شك بأنني المسيئة الى نفسي... «تفكر» أنّى للناس ان يكتشفوا هذا السر وقد أخفيته عن الجميع؟.. الى العمل يا هنريات ولا تخشي. يجب ان أسرع وأضعه بين أمتعة ماري قبل ان تعود.

«تخرج»

المشهد السادس

مرتا

مرتا « تدخل بيدها المكنسة فتبتدىء بالكناسة وتقول »
أخ من هالحاله ! من الصبح للمسا شغل دايم . ساعه
كناسه ، ساعه مسح بلاط ، ساعه غسيل صحون ، قرد
ياخدني تأستريح من هالعيشه ، بالقليله كنت بستريح
من تقل دم هنريات وحكمها ، قال يا بعدي ما بقنش
تتكلف وتنفّض بوطها متـــل ما تكون بنت شي
كونت ، موش عـارفي نفسها انها بنت فلاح مداسه
رطلين وما بيعرف غير بالحرث والفلاحـه ، أيش
بدو يطلع منها وبيّها بيحاكي الفـــدان من دنبتو ؟
« تكنس قليلاً ثم تقف وتقول » أخ لو كانت هنريات
متل ماري كنت بخدمها بعيوني . قديش ماري لطيفه
وطبعها حلو دايماً دايماً بتلاطفني وبتخبيلي من حصتها
فواكه وحلو وبزياده بتحب تشتغل عني ، لكن هنريات
يا ويلي منها بتصير تتعرّم وتحاكيني عالنحو . يا مرتا
لماذا لم تكنّس الدار ؟ قال يا بعدي هي معلمه . ومرّات

بتحاكيني بالفرنجي متل ما تكون برنيطة بيتها بسبع مزاريب . بيظهر ان ماري بنت آوادم وهنريات شحاده بنت شحاده . « تكنس » خليها تعمل متل ما بدها ، هلق ضروري كمّل شغلي قبل ما تجي وتبلش تتأمّر بصحبتها الناشفه متل وجهها .

المشهد السابع

مرتا – العجوز

العجوز « تدخل » ايش بك حمقانه يا مرتا ؟

مرتا ما بني شي . بعد علينا العجايز .

العجوز أيش أيش ؟

مرتا « بصوت عالٍ » ما شي .

العجوز لكن ليش قايمي هالعياط ؟

مرتا أيش بدك بالكترة الغلبه !

العجوز اسمعي يا بنتي تا قلك ، انت بعد ما حنكتكش الايام ، واجب تكوني أهدا من هيك وتسمعي الكلمه متل ما بيقولولك .

مرتا حكم نفس على نفس مر يا ستي العجوز ، انت لو بتسمعي

كلام هنريات وصحبتها الناشفه متل وجهها كنت بتعيفي الدني وما بتعودي تعيشي .

العجوز ريتني ما عيش ، احكي متل الأوادم .

مرتا عمرو ما حدا يعيش ، شو من حاكيك تا تقولي هيك وتحمقي عليّي ؟

العجوز بخرب بيتها صحيح انها مجنونه . « تفتح يديها » الله ينوّر عقلها .

مرتا بدنا نخلص منك يا عجوز النحس ، روحي لا ردّ لك خطره . « ثم تنفض الكراسي وتقلبها بحمق وتقول » يقطع هالعيشه ، عيشة الخدمه كلها تعتير وعذاب وبهدله . من الصبح للمسا ما فيش راحه وما عدا التحكم والتأمير .

العجوز نصحتك وانت ما بتقبلي نصيحه ، خليك بحالك وأنا أيش همّني منك ! « تخرج »

المشهد الثامن

مرتا

مرتا خيه خلصنا من العجوز ومن سحنة العجايز ، لكن هلق بيجينا البستنجي وبصرمايته تنكة تراب ما عدا الحشيش

والوحل وبيصير يمشي وينقمبر كأنو شي كونت ، وعلى مين بيطلع التعتير ؟ عليي وحدي ، ما بلحق وبخلص من الكناسه والتمسيح حتى ارجع وبلش من جديد ، وهيك هالحاله كل يوم ... بخرب بيت هالأوبه بلا ذوق وبلا احساس ما بيهمّنش حدا تعبت مرتا أو ما تعبت متل بعضها ، ما بيهمّون غير يتلّو بَطونهم .

المشهد التاسع

ايزابال — مرتا

ايزابال « تدخل والغضب بادٍ على وجهها » ما هذا ؟ أيسرق الخاتم التذكاري من بين حلاي ولا يُعرف السارق ؟ لقد فتشت جيداً وفلّبت الحلى مرات عديدة فلم أجده بينها . هذا الخاتم أعزّ شيء لديّ لانه تذكار من أبي ، فلا شيء يذكرني بأبي مثل هذا الخاتم ، لذلك اعتبرته كنزاً . « تفكر وتمشي قليلاً ذهاباً وإياباً » والغريب ان بقية الحلى لم تمس ، فقد سُرق وحده وهذا مما يجعل في سرقته سراً لا أزال أجهله ... تُرى من هو السارق ؟ هل ابنتي ماري أقدمت على هذه الدنيئة ؟

لا لست أظن، فهي شريفة لا تقدم على ارتكاب هذه النقيصة ، ولقد عجمت عودها فألفيتها ذات أخلاق نبيلة قلما وُجدت في سواها ... هل ابنتي هنريات غرّها الطمع فارتكبت هذا العمل الشنيع ؟ لا أظن ، نعم انها شرسة الأخلاق لكنها معروفة بأمانتها ولم يسبق لها ان ارتكبت مثل هذا الذنب ، اذاً من الفاعل ؟ هل يدٌ غريبة امتدت الى انتشاله من بين الحلى ؟ ولماذا لم يُسرق سواه ؟ كيف العمل للوقوف على الحقيقة ؟ لا بدّ من البحث والويل لمن تثبت عليه الجريمة . « تنادي » هنريات ، ويلك يا مرتا استدعي الي هنريات سريعاً .

مرتا أمرك سيدتي . « تخرج »

ايزابال سأستعمل الحكمة لاكتشاف الجريمة .

المشهد العاشر

ايزابال – هنريات

هنريات لبّيك يا سيدتي .

ايزابال ماذا كنت تصنعين ؟

هنريات كنت مهتمة بترتيب المائدة .

ايزابال هل دخل غريب الدار ؟

هنريات كلا ، ولماذا ؟

ايزابال لي اليك سؤال فأصدقيني الجواب ، فاذا قلت الحقيقة جازيتك أحسن جزاء « هنريات تضطرب » وان كذبت فانتظري عقاباً صارماً .

هنريات « مرتبكة » معاذ الله ان اكون كاذبة .

ايزابال انك لتعلمين كم هو عزيز لديَّ الخاتم التذكاري الذي أحفظ به ذكر أبي ، لقد فقد هذا الخاتم اليوم دون سواه من الحلى ، وأنا أعتقد بأنَّ السارق ليس بغريب ، فلو كان غريباً لما أبقى على شيء من الحلى . فاذا كان الشيطان طغاك فأقدمت على ارتكاب هذه الزلة اعترفي لي بها وأنا أعاهدك بشرفي بأنني أتجاوز عن ذنبك هذا وأنيلك بدلاً منه جائزة ثمينة تزيد على قيمته .

هنريات قسماً بالله وبحياتك العزيزة انني ما عرفت شيئاً عن هذا الخاتم ، فهل الى هذا الحد أكون جاحدة الجميل وفاقدة الشعور فأسرق أعزَّ شيء لدى من كانت سبب نعمتي ؟ فان كافأتِ أكرمتِ ، وان عاقبت فالأمر لك .

ايزابال « على حدة » الارتباك بادٍ على وجهها والاضطراب

ينمّ عن كتمانها الحقيقة . اعلمي يا هنريات انني سأكون قاسية منتقمة الى حد بعيد اذا تبين لي كذبك ، فالاعتراف بالحقيقة الآن أسلم لك واضمن .

هنريات افسمت وأكرر قسمي بأنني اقول الحقيقة .

ايزابال سأرى .

المشهد الحادي عشر

ايزابال – هنريات – ماري

ماري «تدخل وتقبل يد ايزابال» اسعد الله مساءك يا سيدتي .

ايزابال واسعدني برؤيتك ، هل كنت الآن خارج الدار ؟

ماري أجل ، فقد صرفت بعض الوقت في الحديقة مع صديقتي عزيزة .

ايزابال من زارك اليوم ؟

ماري لم أرَ اليوم إلاّ صديقتي عزيزة ، فقد جاءت من نحو ساعتين وما لبثنا ان خرجنا الى الحديقة وقد انصرفت منذ هنيهة .

ايزابال في أية غرفة استقبلتها ؟

ماري في هذه الغرفة .

ايزابال ألم يدخل الدار سواها ؟

ماري كلاّ .

ايزابال ألم تشعري بدخول أحد لمقابلة أحد الخدم ؟

ماري أبداً . أرى سيدتي تكثر الاسئلة فهل من سبب لذلك ؟

ايزابال لقد فُقد اليوم من بين حلاي الثمينة الخاتم الالماسي التذكاري فهل عرفت شيئاً عنه ؟

ماري كلاّ .

ايزابال ان الحقيقة ستنكشف ، فإذا كنت تعلمين عنه شيئاً فإياك والكتمان ، فان وراء الكتمان عقاباً صارماً .

ماري حاشا لي أن أخفي شيئاً على من هي سبب سعادتي .

هنريات اذا شاءت سيدتي رفع الشك والظنون فلتتحرّ غرفتي وغرفة ماري وحينئذ تتضح لها براءتنا وتزول شكوكها .

ايزابال هذا هو الصواب، فامكثا هنا الى حين رجوعي. «تخرج»

المشهد الثاني عشر

هنريات — ماري

ماري سامح الله المختلس الذي اثار هذه الشكوك .

هنريات ستنكشف الرغوة عن الصريح .

ماري وبذلك ننجو كلتانا من الظنون .

هنريات ربّما .

ماري أراك غير مقتنعة ، فهل تبادر الشك إليك أيضاً ؟

هنريات قد يكون ، ففي الزوايا خبايا ، وسيظهر كل شيء ، ولعلك تكونين شريفة .

ماري « تنتفض » ما كنت يوماً غير شريفة ، اراك يا هنريات تسددين إليّ سهامك .

هنريات الحقيقة تجرح .

المشهد الثالث عشر

الموجودتان — ايزابال

ايزابال « تدخل غاضبة وتقول » أهذا ما كنت انتظر منك ايتها الابنة العقوق ؟ تبّاً لك من خائنة جاحدة الجميل . يا للغرابة ، فانك تتظاهرين بثوب الحمل أمّا باطنك فذئب لئيم . لقد حاولت نكران جريرتك ظنّاً منك ان المراوغة تجديك فتيلاً . هوذا الخاتم فقد وجدته بين حلاك في العلبة السمنجونية . « تريها الخاتم »

ماري «تخرُّ على قدميها» مهلًا يا سيدتي .

ايزابال اغربي من أمامي أيتها السارقة الخائنة!

ماري يميناً انني أجهل تمام الجهل أمر هـذا الخاتم وأكرر قسمي بأنني لم أره قبل الآن .

ايزابال حسبك مراوغـة ونكراناً . ان داري تأبى ان تضمَّ بين جدرانهـا السارقات الكاذبات ، فاخرجي سريعاً ولا تدعيني ارى لك وجهاً .

ماري في العجلة الندامة يا سيدتي، فلك الحق ان تطرديني وأنا أقبل الطرد بطيبة خاطر، لكن ان اقبل التلبس بالتهمة فهذا أمر افضّل الموت عليه ألف مرة ، وانه لأهون عليَّ أن أموت مصلوبة من ان يقال ان ماري بنت الأمير سليم الغسَّاني جحدت الجميل وغدت لصَّة .

ايزابال من تحافظ على شرفها وشرف عائلتها لا تسرق، اغربي من أمامي والاَّ ناديت الخدم لاخراجك بالقوَّة .

ماري «وهي خارجة والدمعة تكاد تخنقها» ستندمـين يا سيدتي بعد وقوفك على الحقيقة . سامح الله من فعل ذلك . «تخرج»

ايزابال لقد حصحص الحق وزهق الباطل ، فما كان البـاطل إلاَّ زهوقاً .

المشهد الرابع عشر

ايزابال – هنريات – ملفينا – عزيزة

ملفينا ، عزيزة « تدخلان »

ملفينا ما بال السيدة ايزابال في اضطراب وقد استفزها الغضب ؟

ايزابال « تتظاهر بالهدوء » على الرحب والسعة يا عزيزتي ، لقد اخطأت ايتها السيدة بأن نسبت إليّ الغضب .

ملفينا عفواً ، فهل من باعث لكدرك ؟

ايزابال الأمر بسيط .

عزيزة أودّ ان ارى العزيزة ماري فأين هي ؟

ايزابال أنت شريفة يا عزيزة فلا تدنسي شفتيك بذكر اسم الخائنة الناكرة الجميل .

ملفينا عهدي بك طويلة الأناة ، فماذا حدث ؟

ايزابال لا شيء .

عزيزة كنت ولا أزال اعتقد بأن ماري جوهرة كريمة يتحلى بها جيد القصور .

ايزابال انك لفي ضلال ، ففي الزوايا خبايا ، ان التي ظننتها شريفة لم تكن إلاّ لصة محتالة .

عزيزة يا للشطط ! لا ، لا يمكن ان تكون ماري الشريفة

سارقة ، فاسمحي لي يا صديقتي ان أقول لك بصراحة انني لا أطيق ان توجه مثل هذه التهمة الى من برهنت عن عزة نفس وشهامة قلّ وجودهما في سواها .

ايزابال لقد خُدعت قبلك ، فتلك التي ظننتاها شريفة ما لبثت ان غدت سارقة فظهرت بمظهرها الحقيقي . لقد اقدمت هذه الجاحدة الجميل على سرقة خاتمي الالماسي التذكاري وقد سألتها عنه وحذّرتها من الكذب فانكرت واقسمت كذباً ، وبعد البحث وجدته بين حلاها وحينئذ انقلبت محبتي لها الى بغض شديد .

ملفينا لعلّ يداً اثيمة اختطفت هذا الخاتم ودسّته بين حلاها انتقاماً منها .

عزيزة أين هي الآن ؟ إني ارغب في مقابلتها وأنا أتعهّد لك بانتزاع الحقيقة من صدرها .

ايزابال لقد طردتها فخرجت ولا أعلم الى أين ، وأراني غير نادمة على ما فعلت ، فإذا كنتما يا عزيزتيّ تريدان المحافظة على الصداقة ارجوكما ان لا تأتيا بعد الآن على ذكرها أمامي « تشير الى هنريات » فمثل هذه الابنة يجب ان تحلّ في بيتي . تعالي يا هنريات أقبلك قبلة الحب . « تتقدم هنريات باضطراب كلي فتقبّلها ايزابال وينزل الستار »

الفصل الثالث

المشهد الاول

ماري

ماري « في البرية جالسة على صخر مستندة الى ذراعها وهي تنشد »

قلبي على جمرِ الغضا يتقلبُ
والنفس من ألم النوى تتعذبُ

والهجر يضني مهجتي ويذيبها
والصبرُ عني معرضٌ متحجبُ

أمّاه هـــلاّ نلتقي فتضمنا
دار نشأتُ بها وربعٌ مخصبُ

أمّاه ليس الصبر بعدك يُرتجى
فالموتُ دون لقاكِ حلوٌ طيّبُ

عوقبت جوراً واتُّهمت وهكذا
تُخفى الأثيمة والبريئة تُشجبُ

أمسيتُ تائهة أجوب الأرض
يا لله من بؤس يثور فيرعبُ

أوّاه! ان حظي قُدَّ من ليل المصائب، وقد رافقني نكد الطالع منذ نشأتي فعانيت من التعاسة والفقر ما تعجز الجبال عن حمله. ولو وقفت بي التعاسة عند هذا الحد لهان الأمر، لكنني اتهمت زوراً وغدوت لصة وأنا بريئة من هذه التهمة. أجل، انني صارعت الدهر بحزم لكنه تغلب عليَّ أخيراً.

لقد ابتعدت عن أُمي واخوتي بغية انتشالهم من الضيق مدفوعة بدافع الحب الأخوي، وآليت على نفسي ألا أسيء الى أحد في حياتي حفظاً لشرفي وشرف مبادئي فتحملت المصائب بصبر. لكن الدهر الخؤون أبى الا أن تُلصق بي تلك التهمة الكاذبة فهدَّ قواي وجعلني ذليلة أمام الناس وان كنت شريفة أمام نفسي. أحصيت بين الخائنات وانا الأبيّة المخلصة، ودعيت لصة وأنا الشريفة الأمينة. آه! كلما تذكرت هذه التهمة ترتجف أعضائي من شدة الخجل. فواحسرتاه

على زمن مضى ! تُرى هل أرتمي بين ذراعيك يا أُماه وحينئذٍ أقول على الدنيا السلام ! « تنشد على وزن : يا غزالي »

عيل صبري وجفا جفني الرقادْ
وفؤادي ذاب من مُرّ البعادْ

حكّم البين بصدري سهمه
وأراني العيش بؤساً وحداد

•

أصرف العمر نواحاً وأنين
وجفوني تذرف الدمع سخين

لهف قلبي كم يعاني من حنين
هل يراكم مرّةً قبل النفاد ؟ « تخرج »

المشهد الثاني

ايزابال

ايزابال « تدخل » آه كم تعجلت بحكمي ! حقاً ان في العجلة الندامة ، فما أحسن التروي في الأمور ، فواندمي

على ما فات ! لقد أصدرت ذاك الحكم القاسي بحق تلك الابنة الشريفة فاتهمتها بالسرقة ولم يترك لي الغضب مجالاً لمشاهدة دموع الشرف والأنفة تذرفها على قدميّ، فلم أكن آنئذٍ تلك المرأة الشريفة الرصينة المعروفة في الأوساط العالية بتعقلها بل جمحت عن جادة الصواب وتصرفت تصرف المرأة الحمقاء ...

لقد انكشف ذاك السر إحقاقاً للحق ولاعلان براءة الشريفة ، تلك البريئة التي قبلت الطرد لكنها لم تقبل التهمة فقامت تدافع عن شرفها برزانة وحزم اذ أبى عليها شممها وأصلها العريق ان تكون خنوعاً وتستسلم للذل ، لكنني كنت كالصخر الأصمّ فلم أسمع وقد كان عليّ أن أفكر وأتروى قليلاً ناظرة الى ماضيها مدة خمس سنين لم ترتكب خلالها أدنى هفوة، لكن ما جرى قد جرى فعليّ أن أعوض .

المشهد الثالث

ايزابال – ملفينا – عزيزة

« ملفينا ، عزيزة تدخلان »

ملفينا لقد ظهر التأثر العميق على وجهك أيتها السيدة ايزابال.

ايزابال أجل ، ان ضميري يوبخني أشد التوبيخ على اتهامي ماري الشريفة ، وعلى تقصيري في التحقيق الذي أجريته ، وعلى الحكم القاسي الذي أصدرته بحقها فطردتها طرداً وهي الأبية الشريفة . فبعد وقوفي على الحقيقة أراني دائماً في كآبة لا يقرُّ لي قرار ، وهذه الافكار تقضُّ مضجعي دائماً وتجعلني أستسلم للكآبة .

عزيزة كيف توصلت الى الحقيقة ومن كشف لك أسرار الجريمة ؟

ايزابال المجرمة نفسها ولقد عرفتِ انه لبضعة أيام خلت سقطت هنريات عن سطح البيت ، ولما رأت ذاتها مشرفة على الموت قام عليها قائم ضميرها فاعترفت بجريرتها على رؤوس الاشهاد وقالت : قاتل الله الحسد فانه يولد الطمع والطمع يدفع الى الانتقام ، فلقد حسدت ماري وطمعت بثروة سيدتي ايزابال أمي بالتربية ، فدبرت تلك الحيلة وسرقت الخاتم ودسسته بين حلى ماري قصد ان تُطرد ويخلو لي الجو ، فطُردت ماري ظلماً وبقيت أنا أقاسي الالم النفساني وعذاب الضمير ، أما الآن وأنا على وشك أن أخرج من الدنيا فقد اعترفت بالحقيقة لأرفع تلك التهمة الشنعاء عن الشريفة ماري التي أبغضتها وأحبتني . وبعد هذه التصريحات ببضع

ساعات لفظت روحها، وهـا أنا ذي أسعى الآن الى اعادة مـــاري إليَّ فأعوض عليها مـا فقدت من شرف وعز .

عزيزة أرى من المناسب ان تعهدي الى بعض أشخاص أمناء فيفتشوا عنها في كل أنحاء لبنان .

ايزابال لقد عهدت الى عشرة من الرجال النشيطين ، وخـلا الاجرة التي دفعتها اليهم فقد عينت جائزة تُذكر لمن يأتيني بخبر عنها .

عزيزة لنذهبن نحن ايضاً الى ضواحي البلدة فلعلها عادت اليها.

« يخرجن »

المشهد الرابع

ماري

ماري « تدخل من الجهة الثانية بعد بضع دقائق فتجلس على صخر منهوكة القوى » يا للحيـاة المفعمة هواناً ! أما حان لي ان اتخلص من هذه الحياة ؟ لقد غدوت أودُّ الانفصال عن هذه الدنيا فما الفائدة من حياة ملأى بالمتاعب والأحزان ؟ فحسبي ما عانيت من فقر وذل

وحسبي اني تلبست بجريمة أنا بريئة منها . « تنشد على وزن : حتى مَ هذا الجفا ، أيها القوم كفى »

حتى مَ هذا العذابْ
بين ذلٍّ واكتئابْ

يا لجورٍ فاضحٍ
صيّر العدل خراب

•

حسبوني سارقهْ
حطّموا قلباً شريفْ

بهمومي غارقه
يا له ظلماً مخيفْ !

•

غير حظٍّ مظلمِ
لم يكن أمّاه لي

بعد ليلٍ أقتمِ
هل أرى الصبح الجلي ؟

« ثم تستند الى الصخر وتنام »

المشهد الخامس

ايزابال – ملفينا – عزيزة – ماري

« ايزابال، ملفينا، عزيزة يدخلن بعد نوم ماري بدقائق »

ايزابال « تتطلع هنا وهنا من أبواب المسرح مفتشة ثم تقول» قيل لي انها أتت الى هذا المكان فأين هي يا ترى ؟.. آه ! لقد كنت بغنى عن كل هذا التعب ، فلو ترويت قليلاً لنجوت الآن من توبيخ ضميري ... قاتل الله الغضب فانه يدفع بصاحبه الى ما لا يجوز ويحط من قدر الكرام ، فواندمي على ما فعلت !

ان تهمة السرقة الشنعاء التي اتهمت بهـــا ماري الشريفة هي تهمة لا تعوض بالقليل ، فلقد كنت قاسية الى أقصى حد فلم تمس الشفقة قلبي ولم أرحم تلـك الدموع الحرّى دموع الانفة والاباء ، فتعويضاً عن هذه الزلة عزمت الآن عزماً لا يتزعزع على ان أهبها كل ما أملك وأحلّي يدها بالخاتم الذي اتهمتها بـه واجعل نفسي رهن ارادتها تكفيراً عما جنيت .

ماري « تتكلم بالحلم » لا، لا، لست أنا. « ايزابال تصغي » أنا بريئة ، أنا بريئة ، فالموت ولا السرقة.

عزيزة لمن هذا الصوت ؟

ملفينا من هي هذه النائمة هنا ملتفة بأثوابها الخلقة ؟

ايزابال «تدنو منها وتصرخ ببهجة» هي هي ، هي ماري ذاتها ، آه يا للفرح !

ماري «تستفيق وتفرك عينيها ثم تتفرس بالحاضرات وتقول» آه ماذا أرى ؟

ايزابال افتحي عينيك جيداً .

ماري آه ، سيدتي ايزابال ؟ العزيزتان ملفينا وعزيزة ؟ «ترتمي على قدمي ايزابال» آه يا سيدتي ، لست أجسر على النظر اليك أنا المتهمة المسكينة .

ايزابال «تضمها الى صدرها وتقبل جبينها» ارفعي يا حبيبتي نظرك عالياً ولا تخشي ، فأنت الشريفة الناصعة الجبين الأبية النفس ، لقد تجلت براءتك كالشمس في رابعة النهار كما تجلى تسرعي الممقوت الذي عذبني كثيراً . «عزيزة ، ملفينا تقبلان ماري» لتحي عزة النفس ، ليحي الشرف !

ماري كيف تجلت لك براءتي يا سيدتي ؟

ايزابال ان هنريات المجرمة اعترفت بجريرتها علناً قبل موتها فقالت انها هي التي سرقت الخاتم ووضعته بين حلاك

مدفوعة بروح الحسد والانتقام .

ماري ماتت هنريات ؟ اسفاً عليها . لقد احببتها حبّاً حقيقياً وعاملتها كأخت لي وانني من صميم الفؤاد اغفر لها اساءتها .

ايزابال بعد ان استفزني الغضب وطردتك قربتها اليّ وعلقت كل آمالي عليها بيد انني كنت اراها دائماً قلقة ويظهر ان دود الضمير كان ينخر قلبها .

عزيزة قاتل الله الحسد فكم يجرّ من بلايا على البشر ! فتعالي يا حبيبتي ماري اقبلك قبلة الشرف . «تتعانقان»

ملفينا لم يخالجني قط ان ماري الشريفة تقدم على ارتكاب جريمة .

ماري كيف كان موت هنريات ؟

ايزابال منذ عشرة أيام اي بعد مرور نحو خمسة أشهر على خروجك من بيتي سقطت هنريات عن سطح البيت ، وعندما رأت ذاتها قريبة من الموت اعترفت على مسمع الحاضرين بذنبها الفظيع وقالت انها اندفعت الى ارتكاب هذه الجريمة بدافع الحسد الممقوت ، ومنذ تلك الساعة أخذت ابحث عنك بغية أن احصل منك على كلمة الغفران ، فوجهت عدداً من الرجال الأشداء

ليبحثوا عنكِ في كل انحاء لبنان ، وفي هذا الصباح جاء احد المكلفين بالتفتيش عنك وأفادني انه رآك في هذا البستان فأسرعت الى هنا مع العزيزتين ملفينا وعزيزة ، وقد شاء الله ان يعيد الى قلبي الطمأنينة والعزاء. والآن اخبريني عمّا حدث لك بعد خروجك من بيتي .

ماري خرجت من أمامك نائحة لا على ما اتهمت به فحسب بل على ابتعادي عن سيدة جمعت الى نفسها الكمال النسائي ، وأخذت انتقل من مكان الى مكان مستجدية اكفّ المحسنين ، وقد حاولت مراراً أن أتقيّد بخدمة أحد البيوتات ، غير اني كنت أخشى أن اصاب بصدمة التهمة التي اتهمت بها فأطرد من جديد ويكون طردي سبباً لاشتهار موتي الأدبي . أخيراً قادني الحظ الى هذا البستان الذي كان من عادتي التردد اليه ، فحصلت على نعمة الاجتماع الى سيدتي الشريفة التي عاملتني معاملة ام حنون .

ايزابال كوني قريرة العين واضربي كشحاً على ما مضى . «ثم تناولها محفظة» اليكِ هذه المحفظة ففيها وصيتي وصكوك أملاكي فقد وهبتك كل ما أملك من ثابت

ومنقول ، وهذا هو الخاتم الذي اتهمتك به يجب ان يكون حلية الشرف في يدك «ثم تلبسها اياه» فكما حفظت أنا به ذكر أبي ، احفظي انت ذكري به .

ماري «تتردّد بأخذ المحفظة والخاتم» لا، لست ابغي إلاّ رضاكِ ، فما أنا إلاّ أمتكِ سواء أطردتني ام قبلتني ، فلولاكِ لم يكن لأمي واخوتي حياة ، انت المحسنة العظيمة ، وانك لتعلمين يا سيدتي انني سألتك ان تشتريني فرفضت بل شئتِ أن تتبنيني ، وكان قصدي ان انتشل أمي واخوتي من ربقة الجوع فجدتِ عليهم بثلاثمائة دينار وهذه منّةٌ لا أنساها ولن ينسوها لك.

ايزابال لقد أقسمت فلا أكون خائنة ، وبصفتي أمّاً لك بالتربية آمركِ أن تتسلمي كل شيء وتكوني طائعة لي.

لي اليكِ يا عزيزتي وصيّة آمل ان تعملي بها ، فانا قد طعنت في أيامي وغدوت قريبة من مواجهة ربي فأرغب ان تتولي كل أعمالي. كوني شفيقة على البائسين ومساعدة للفقراء . أحبي ذكري بالأعمال الخيرية واتبعي الطريق التي نهجتها لكِ فتتهلّل عظامي في رمسها . لقد ذقتِ مرارة الفاقة وعرفت جيداً الفرق العظيم بين الكريم والبخيل ، فانبذي البخل تنالي

سعادة الدارين . وعليك قبل كل شيء أن تستقدمي امك واخوتك الى بيتك هذا فتعيشي معهم بسلام .

ماري ثقي يا سيدتي بانني لن أحيد قيد شعرة عن الطريق التي نهجتها لي . لقد تعودت أن اقاسم الفقراء زادي كما تعلمين رغم فقري واحتياجي، فكيف وقد اصبحت الآن ذات ثروة عظيمة ، فان لم اعمل بارادتك كنت عقوقة ، ولست ادري كيف امحضك الشكر على اهتمامك خاصة بأمر أُمي واخوتي .

ايزابال هلمّي نذهب الى القصر حيث تستبدلين هذه الاثواب الرثّة .

ماري الأمر لك . « يمشين ويسبل الستار »

•

الفصل الرابع

المشهد الاول

حنة – ليلى

حنة « تدخل بعد كشف الستار ماسكة بيدها ابنتها ليلى وهما بملابس الفقراء »

حادثاتِ الزمـان يكفيكِ جورُ
خفّفي الوطءَ وارحمي البائساتِ

فحرامٌ ان نبقى مستسلماتٍ
لشقاءٍ عن رَبعنا نائباتِ

لا شفيقٌ ولا صديقٌ وفيٌّ
ينتشلنا من وهدة النائباتِ

نضرب الأرض طولها ثم عرضاً
وأكُفٌّ الكرامِ مستجدياتِ

نائحاتٍ على زمانٍ تقضّى
يومَ كنّا بالهنا عائشاتِ

باحثاتٍ عن فلذة الكبدِ دوماً
ونرانا في هجرها حائرات

آه ! لقد تبدّدت آمالي كالضباب عند مهب الريح ، فإلى مَ تبقين بعيدةً عن عينيَّ يا حبيبة القلب ؟ لقد خدَّد الحدُّ دمعي ونحل جسمي من شدة الأسى. «تبكي»

ليلى علامك تبكين يا أمّاه ؟

حنة آه يا ليلى المحبوبة ، ان حياة امك كلّها بكاءٌ في بكاء ، فلو علمتِ كم هو حادّ السهم الذي نشب في فؤادها لبكيت معها دماً ... ان مصيبتي يا بنيتي عظيمة ، فلقد هبطنا من برج مجدنا الباذخ الى أسفل دركات الفقر والذل ، واصبحنا بعد حياة التنعّم نستجدي أكفَّ المحسنين ، ولو انتهت مصيبتنا عند هذا الحد لهان الأمر ولكن ... « تخنق كلامها الدموع »

ليلى لقد جرحت قلبي يا أمّاه ، فما هو الداعي لهذا البكاء ؟

حنة ان قلبك الصغير اللطيف لا يطيق حمل هذه الأمور ، فابقي طيّبة البال ودعيني في آلامي ، فلنطلب الآن مساعدة من هذه الدار ثم نذهب في سبيلنا. « تنادي

بصوت أجشّ » رحمة بنا يا ذوي الجود ، رحمة بمن أخنى عليها الدهر وأنهك قواها الهم .

المشهد الثاني

حنة ـ ليلى ـ ثلاث بنات فقيرات

الثلاث « يدخلن »

الاولى عطيّة يا اولي الكرم .

الثانية هل من نصير يجبر القلب الكسير ؟

الثالثة رأفة بنا يا ذوي الجود .

حنة من أي بلاد أنتنّ ؟

الأولى من حوران ، من بلدة شهبا ، فقد أجدبت أرضنا ومنذ خمس سنين لم يسقط عليها مطر فماتت مواشينا وقضى العدد العديد من أبنائنا جوعاً .

حنة نحن إذن من بلاد واحدة .

الثانية أأنتِ من تلك الأمصار ؟

حنة أجل ، وقد غادرت البلاد من مدة تاركة فيها ولدين يافعين لا أدري ما حلّ بهما ، وقد ... « هنا تدخل ماري فتنقطع حنة عن الكلام »

المشهد الثالث

الموجودات ـ ماري

ماري « تدخل حاملة بعض المآكل وكيساً فيه دنانير »
لقد أتيتنّ يا عزيزاتي داراً تجدن فيها ضالتكنّ .

حنة « على حدة » يا للطف المتناهي ! لقد دعتنا نحن الفقراء عزيزاتها ... انني أشعر بحركة داخلية وميل شديد الى هذه الابنة ، فكم تتشابه الاشخاص ، فهنا في لبنان كما في حوران . ان حركاتها تشبه حركات ابنتي ماري ، ومبسمها يضاهي ذاك المبسم الضحوك . « الى ماري » أتيناك طالبات مساعدتك أيتها الشريفة اللطيفة .

ماري أتيتنّ حيث تجدن بغيتكن ، فطبن نفساً . « ثم توزع عليهن المآكل وتعطي البنات الثلاث كل واحدة منهن خمسة دنانير »

الثلاث جزاك الله خير جزاء ، وعوّض عليك أضعافاً .

« يخرجن »

ماري « الى حنة » لا شك بأنك ذات عائلة ، فلا تكفيك القيمة التي أخذتها رفيقاتك .

حنة أجل ، انني ذات عائلة كبيرها لا يتجاوز الثانية عشرة.

ماري « على حدة » أرى جاذباً داخلياً يجذبني نحو هذه المرأة وابنتها ، فقد ذكرني مرآها أمي الحنون ... « الى حنة » اليك الآن هذه الدنانير فاستعيني بها على الأقدار وعودي إليّ في وقت آخر فوقتي الآن قصير وثمين . « تعطيها عشرين ديناراً وتهم بالخروج »

حنة « تمسكها من أثوابها » بحقك أيتها الكريمة امكثي قليلاً فأتعزى بمرآكِ البشوش ، فما الذي يشغلك ؟

ماري سيدتي على فراش الاحتضار وقد سمعت نداء كنّ فأمرتني أن أسرع اليكن فأقوم بتوزيع الصدقات عملاً بتقاليد بيتها ، فأسرعت كي لا يقال ان السيدة ايزابال المحسنة شغلها مرضها الأخير عن العناية بأمر البائسين .

حنة جزاها الله كأعمالها ، إذن أنت لست ابنة صاحبة هذا القصر ؟

ماري كلا ، ولست من هذه البلاد .

حنة من أي بلاد أنتِ ؟

ماري « تتنهد » من حوران ، تلك البلاد التي أصبو الى ربوعها .

حنة — من حوران ! « تضطرب كثيراً » ما اسمك واسم والديك أيتها اللطيفة ؟

ماري — « تتأوّه » آه ! لا تسلي عن اسم والديّ .

حنة — لماذا ؟

ماري — لأن ذلك يذكّرني اموراً تجرح فؤادي .

حنة — لقد زدتني رغبةً في الوقوف على أمرك ، فبحقك لا تبخلي عليّ بذلك .

ماري — ماذا تستفيدين من هذه المعرفة ؟

حنة — حسبي ان أعرف من أنتِ لأنني ... « يقطع كلامها البكاء »

ماري — أبي لا أذكره جيداً فقد مات وأنا صغيرة ، أما أمي ... « تتنهد »

حنة — بحقك صرّحي ولا تخشي .

ماري — أمي تدعى حنة وأنا أُدعى ماري غسّان بنت الأمير سليم الغسّاني .

حنة — « ترتمي على عنقها » بنيّتي حبيبتي ، فلذة كبدي ... « تسقط مغشياً عليها »

ماري — « ترش عليها الماء فتستفيق » أمّاه ! « ترتمي بين ذراعيها »

حنة — أنا هي أمك يا حبيبتي ، انا هي حنة غسّان أرملة الأمير سليم الغسّاني .

ماري أمّاه أمّاه ... ويلي كيف لم أعرفك منذ اول نظرة؟ « تعانق شقيقتها ليلى » انت شقيقتي ليلى التي تركتها رضيعةً ... آه يا لسعادتي ... واخواي أين هما ؟

حنة لا يزالان في حوران يكسبان معاشهما من شغلهما وهما يتمتعان بصحة جيدة .

ماري يجب استحضارهما على جناح السرعة ، وسأبعث أنا بمن يأتينا بهما .

حنة كيف وصلت الى هذه الحالة يا بنيتي ؟

ماري بعد ان كتبت إليك ذلك التحرير ، ووضعت لك الدراهم في طاقة البيت، جئت مع السيدة ايزابال الى لبنان وطن العزّ والكرامة والطمأنينة فتبنتني ومكثت عندها نحو خمس سنين على اعزاز واكرام ، فعهدت إليّ بادارة شؤون بيتها ، ولم تنقّص عليّ شيئاً ، ثم عهدت إليّ بتوزيع الاحسان على الفقراء بكرة وعشيّة ، وكنت أجد أعظم لذّة في مساعدة البائسين بعد ان ذقت طعم الفقر المرّ . وكانت متبنّية ابنة أخرى تدعى هنريات ، هذه دبّ روح الحسد الى صدرها فسرقت الخاتم التذكاري المختص بالسيدة

ايزابال ودسّته بين حلاي قصد أن تنتقم مني وتبعدني ليخلو لها الجو، فاتّهمت بتلك التهمة الشنعاء وعوقبت بالطرد، فلبثت نحو خمسة أشهر شريدة أعيش من حسنات المحسنين. اخيراً سقطت هنريات عن سطح البيت وعندما رأت ذاتها مشرفة على الموت اعترفت للسيدة ايزابال بذنبها علانيةً فظهرت حينئذٍ براءتي وأخذت السيدة ايزابال تبحث عني الى ان وجدتني وحالاً وهبتني كلّ ما تملك، فغدوت صاحبة ثروة عظيمة لم يحصل على مثلها كبار اغنياء لبنان.

حنة — والسيدة ايزابال ؟

ماري — أُصيبت ويا للأسف بمرض فتّال اقترن بالشيخوخة، وقد عجز الاطباء عن شفائها، وهي الآن على فراش الاحتضار، فهلمّي بنا إليها نعزّيها في ساعاتها الأخيرة ونغنم رضاها.

حنة — اليك ذلك. « تمشيان ويغلق الستار »

تمت

•

DATE DUE

JAFET LIB
15 NOV 2011

الحايك، يوسف (الخوري)
الحب الاخوي: تمثيلية
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01237424

American University of Beirut

General Library

892.78
Ha195hA
C.1